الاستدلال البلاغي في ديوان المتنبّي
مقاربة حجاجيّة

أ. البشير عزّوزي جامعة برج بوعريريج

الملخّص: تعدّ كثير من المفاهيم البلاغيّة أدوات حجاجيّة بامتياز، وذلك لما تحويه من صبغة فلسفيّة ودلالة عقليّة، تزيد القول قوّة وتثريه دلالة وتغنيه معنى، وهذا ما جعلنا نتناولها من زاوية حجاجيّة، لنكشف سرّ التّأثير العجيب لهذه المفاهيم، واقتصر البحث على المفاهيم التي انعقد الاجماع على صفتها الحجاجيّة كحسن التّعليل الذي يخترع في الشّاعر علّة خيالية دليلا على صحّة دعواه، أمّا المذهب الكلاميّ فيستمّد قوّته من اسم العلم الذي اشتقّ منه؛ حيث يقتفي الشّعراء آثار علماء الكلام في طريقة الكلام والاحتجاج له، وهكذا في التّشبيه التّمثيليّ والاحتجاج العقليّ والتّغاير والمشتقّ ممّا تكون أوراق البحث كفيلة ببيانه والتّمثيل له من ديوان المتنبّي الذي رأينا أنّه من أكثر الشّعراء قصدا لهذه الفنون، مظهرا من خلال ذلك ثقافة واسعة ومتنوّعة.

الكلمات المفاتيح: الاستدلال – البلاغة – الشّعر – المتنبّي – الحجاج.

Résumé

Les nombreux concepts des outils rhétoriques orbitale par excellence, alors quel contenu et la signification du caractère philosophique mentale, que de dire la force et d'enrichir la connotation et est épargné le sens de, et voici ce que nous a fait manger de l'angle orbital, pour découvrir le mystère de l'effet étrange de ces concepts, et peu de recherches sur les concepts qui ont tenu un consensus qui décrit orbital bon raisonnement inventé le poète fictif bug preuve de la validité de sa demande, et la doctrine de verbale force Vestmd de savoir qu'il est dérivé, où les poètes oligo-effets des scientifiques de la parole dans la voie de la parole et protestent à lui, et ainsi l'analogie est représentative de la santé mentale et de protestation et de covariance et dérivés qui sont des documents de recherche parrainer sa déclaration et sa représentation de la Cour de Mutanabi que nous avons vu qu'il est plus poètes intentionnellement à ces arts, regarder à travers une culture et d'une grande variété.

تعوّل النّظريّة الحجاجيّة على البلاغة وترى فيها طاقات عظيمة، وهذا نظرا لهيمنتها على كثير من حقول الفكر الإنساني، وغناها الذي يفتقر إليه كلّ خطاب بشريّ؛ فقد ألقت بظلالها على الخطاب الدّيني والاجتماعيّ والسّياسي والثّقافيّ، بل امتدّت لتكون عصب الخطاب الإعلاميّ والاقتصاديّ، فكلّ متكلّم وجد في البلاغة ضالتّه في تحقيق الإفهام والتّأثير، وتغيير المواقف والآراء، بل في تزيين الباطل بزينة الحقّ، وتشويه الحقّ بشبه الباطل فينقلب الباطل حقّا والحقّ باطلا، استجابة لتمويه تمليه الكلمة وتحقّقه أساليب البلاغة.

إنّ المتتبّع لمعظم التعريفات والأبحاث المنقولة عن أعلام البلاغة العربيّة يجدها ملخّصة في أنّ البلاغة «**تهدف إلى أمرين: الوضوح (الارتجال) والتّأثير (النّفع)**»[(1)] ، فبحسن القول تستمال القلوب، وتنال الأغراض وتتحقّق الغايات، والنّفوس مجبولة على حبّ الإحسان، مفطورة على التّأثّر ببنات اللّسان، خاصّة إذا كان في قمّة السّبك وخلاصة البيان، والتّاريخ يشهد على كثير ممن ملكوا مقاليد البلاغة أنّهم استطاعوا أن يسخرّوها لتمويه النّاس وتضليلهم، ليس ذلك بالإكراه والعنف وإنّما بسلطة الكلمة وروعة البيان، والجمع بين خطاب القلب والعقل، خاصّة إذا تعلّق الأمر بالدّفاع عن مذهب أو عقيدة، ومن أروع الأمثلة على ذلك الصّراع الذي ملك العقول الإسلاميّة قرونا عديدة، ترجمه التّحاجج والتّناظر الذي أدّت فيه البلاغة دورً بارزاً. وممّا تنبغي الإشارة إليه والتّنبيه عليه هو أنّ فنون البلاغة المتعدّدة لا تعدّ غاية المتكلّم وهدفه، وإنّما هي وسيلة تسخّر لنيل المطالب وبلوغ المآرب، والدّليل على هذا أنّ المتكلّم إذا جعل الأشكال البلاغيّة منتهى لسانه فإنّه يقع في الزّخرف الذي يوهن القول، والذي يعدّ تهمة جاهدت البلاغة للتخلّص منها حقبا عديدة، وما العودة المبهرة إلى البلاغة في الأعوام الأخيرة إلاّ وعي تامّ بدورها الذي ضيّع في مهاوي التّزويق وهمّش في غياهب التنميق. والنّاظر في الدّراسات اللّغوية الحديثة على اختلاف مدارسها وتنوّع مناهجها يدرك مدى اهتمامها بالبلاغة وأشكالها، حيث أقبل كثير من اللّغويّين على بعض مفاهيم البلاغة وعيا بغناها

---

(1) –أدونيس: **الثّابت والمتحوّل 3، صدمة الحداثة**، دار العودة، بيروت، ط2، 1979، ص 133.

الدّلاليّ، وكذا دورها في تحليل الحدث الكلامي[2]، ومن اللّغويّين من عاد إلى البلاغة برمّتها محاولاً بعثها وإحياءها، حيث اعتبرت هذه العودة محاولات لتجديد البلاغة لإظهار دورها في سائر الخطابات الإنسانيّة[3]، وقد ارتبطت هذه المحاولات في غالب الأحيان بـــ «**إحياء بعدها الحجاجيّ وترهين قضايا الإقناع فيها**»[4]، بل وصل الأمر إلى حدّ اعتبارها حجاجاً في حدّ ذاتها، لأنّ «**وراء كلّ حجاج بلاغة، والعكس صحيح، و مدار ذلك هو الإغراء والاستغواء قصد الإمتاع والإقناع**»[5]، وقد حازت أكثر الفنون البلاغيّة هذه الأهمّية من خلال تحقّقاتها الأسلوبيّة في النّصوص الحجاجيّة على اختلاف أنواعها، وقد استلهمت بعض ملامح حجاجها من بلاغة الشّعر والخطابة، غير أنّ الحجاج البلاغيّ يتفاوت حسب أنواع النّصوص فيكون قصداً في النّصوص الشّعريّة والخطابيّة، أمّا عن النّصوص الأخرى فيكون عرضيّاً، وبعبارة أدقّ يتولّد الحجاج في النّصوص الشّعريّة من بلاغة كثيفة تفرضها الحاجة إلى الخيال الذي يحقّقه التّنويع في الصّور[6].
من هنا اتّضحت أهمّيّة البلاغة في تحقيق الحجاج في سائر الخطابات الإنسانيّة، سواءً أكانت البلاغة مقصودةً مستغلّة في عمليّة الحجاج، أم كانت عرضيّة تزيد في القوّة

---

[2]–من هذه العلوم اللّغويّة على سبيل المثال: التأويليّة المعاصرة وعلى رأسها بول ريكور، ومحمّد بازي الذي أسّس نظرّيته في التّأويل التّقابلي على مفاهيم البلاغة، ولا يمكن الحديث عن لسانيات النّص دون التّعريج على البلاغة، أمّا التّداوليّة والأسلوبيّة فهما فرعان من شجرة واحدة هي البلاغة.

[3]– ينظر على سبيل المثال: حافظ إسماعيلي علوي، **الحجاج مفهومهومجالاته–دراسات نظريّة وتطبيقيّة في البلاغة الجديدة**–،عالم الكتب الحديث، الأردن، ط/، 2010،

[4]–عبد اللّطيف عادل، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، منشورات ضفاف، بيروت – لبنان، ط1، 2013، ص 14.

[5]–الحبيب أعراب، **الحجاج والاستدلال الحجاجي** "**عناصر استقصاء نظري**"، ضمن كتاب **(الحجاج مفهومهومجالاته)**، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، ج3، ص 45 بتصرّف يسير.

[6]- ينظر: الحبيب أعراب، **الحجاج والاستدلال الحجاجي** "**عناصر استقصاء نظري**"، ضمن كتاب **(الحجاج مفهومهومجالاته)**، ص 60.

الإقناعيّة والتّأثيريّة للخطاب، ولقد اشتهرت أساليب بلاغيّة عديدة تحوي طاقات حجاجيّة معتبرة، إلى درجة تسميتها بالاستدلال الحجاجي في البلاغة العربيّة[7]، وسنأخذ نماذج من ديوان المتنبّي لأنّه مثال عن الشّعر الذي تميّز بالصّفة الإقناعيّة التي جعلت شعره يخلد على مرّ الزّمان وتغيّر النّظريّات والمفاهيم.

1- حسن التّعليل:

يعدّ التّعليل بمختلف ألفاظه وتراكيبه من الأدوات اللّغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي، وبناء حججه فيه، ففي النّحونجد المفعول لأجله مفرداً أو جملة، وكلمة السّبب، ولأنّ، إذ لا يستعمل المرسل هذا التّراكيب إلاّ تبريراً أو تعليلاً لفعله ورأيه، بناء على سؤال يفترض تلقّيه أو تلقّاه فعلاً[8].

أمّا في البلاغة فهو من أهّم أساليب الاحتجاج؛ وذلك لأنّ إظهار العلّة هو عين الحجّة، بل قد «**تأتي العلّة بمعنى الحجّة، وفي هذا اختزال لقوّة العلاقة بينهما؛ خاصّة إذا جاءت العلّة لبيان الأسباب المقنعة بالمعاني المطروحة**»[9]، ويستمدّ التعليل طابعه الحجاجي من أنّ المرسِل يسعى على إقناع المخاطب برأي اعتقده أو فعل اقترفه، كما

---

[7]–نتناول في هذه البحث بعض المفاهيم التي كاد ينعقد الإجماع على صبغتها الحجاجيّة وطاقاتها الإقناعيّة، وذلك تفاديا للانسياق وراء الآراء التي تجعل من البلاغة استدلالاً، أسرفت في شرحه على طريقة المتكلّمين وأصحاب الجدل وعلماء الأصول.

[8]–عبد الهادي بن ظافر الشّهري، **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتب الجديد المتّحدة، ليبيا، ط1، 2004، ص478، بتصرّف.

[9]–ناصر السّعيدي، **الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي (دراسة وصفيّة)**، متطلّب تكميلي لنيل الدّكتوراهفي تخصّص البلاغة والنّقد، إشراف: محمّد إبراهيم شادي، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعودية، 1426، ص 105.

يستمدّ حجاجيّته من كونه يربط بين النّتائج وأسبابها[10]. وقد تناول البلاغيّون التّعليل وفق اتّجاهين اثنين:[11]

1- **اتّجاه علميّ:** ينظر إلى التّعليل نظرة علميّة، مفادها أنّه وسيلة عقليّة للبيان والتّفسير، أو للاحتجاج والتّدليل، أمّا إثباتا للحقائق الغائية، وإمّا تقريراً للحقائق الثّابتة، وفي هذا يقترب التّعليل من المذهب الكلامي، وقد غلب على شواهد هذا الاتّجاه الشّواهد القرآنيّة، إلاّ أنّ وجدنا له مثالا في شعر المتنبّي:

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَاملتي فِيكَ الخِصَامُ وَأَنْتَ الخَصْمُ وَالحَكَمُ

حيث علّل جور سيف الدّولة في التّعامل معه بطريقة منطقيّة سليمة، فإذا كان المدّعي هو القاضي وهو الخصم، فإنّ الحكم سيكون لصالحه، ومن جهة أخرى وعلى طريقة أهل الكلام يجمع المتنبّي ثلاث متناقضات في ذات واحدة إثباتا للحجّة وإيغالا في العقليّة، وهذا ممّا يكثر في شعر الفلاسفة، كما أنّ البيت يحقّق قانوناً منطقيّا؛ هو تحصيل الحاصل، وسنعود إليه في موضعه.

2- اتّجاه فنّيّ: وهو اختراع علّة غير حقيقيّة مناسبة للوصف، ويعرّفه الجرجاني بقوله «**وهو أن يكون للمعنى من المعاني أو الفعل من الأفعال علّة مشهورة من طريق العادات والطّباع، ثمّ يجيء الشّاعر فيمنع أن تكون لتلك المعروفة، ويضع له علّة أخرى.**»[12]ويجعل البلاغيّون لهذا الاتّجاه أربعة قيود هي:[13]

1- **الادّعاء:** صادقا كان أو كاذبا، وهو الزّعم الكاذب على سبيل التّخييل.

---

[10]-ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهري، **استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية** ، ص481.

[11]-أضاف الباحث ناصر السّعيدي الاتجاه المشترك؛ حيث سعى إلى تحديد أصوله عند القدماء إلاّ أنّه لم يستطع مدافعة طغيان أحد الاتجاهين على الآخر، مما يجعل دمج الاتجاهين في اتّجاه ثالث أمر صعب المنال، ينظر: ناصر السّعيدي، **الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي (دراسة وصفيّة)**، ص 114 وما بعدها إلى 119.

[12]-عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة**، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني جدّة، ط1، 1991، ص ص 277-278.

[13]-ينظر: ناصر السّعيدي، **الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي**، ص 123.

2- **المناسبة:** وهي الرّابطة بين العلّة والمعلول.

3- **اللّطف:** ويقصد به غرابة العلّة.

4- **اللّاحقيقة:** هي على سبيل المبالغة فقط.

واستنادا إلى هذه القيود سمّي حسن التّعليل، فالشّاعر «**يدّعي في الصّفة الثّابتة للشّيء أنّه إنّما كان لعلّة يضعها ويختلقها، إمّا لأمر يرجع إلى تعظيم الممدوح، أو تعظيم أمر من الأمور.**»(14) فهو يخترع العلّة والمعلول والجامع بينهما في غرابة مع دقّة وتناسب تامّين، لذلك عدّمن الأساليب البلاغيّة التي تعتمد القدرة على الخلق والإبداع، فالشّاعر يروم إثبات الحقيقة بالخيال، ومكمن السّرّ في حجاجيّة هذا الأسلوب أنّه «**يحوي اختلاف العلّة وادّعاءها والتلطّف بها حتّى تكون مناسبة تلائم الوصف، وهو أمر يحتاج إلى رهافة الحسن ودقّة النّظر، ولا يدركه إلاّ من له تصرّف في دقائق المعاني.**»(15) وهذا الأسلوب كثير في ديوان المتنبّي، من ذلك قوله:(16)

سَفَكَ الدِّمَاءَ بِجُودِهِ لَا بَأْسِهِ   كَرَماً لِأَنَّ الطَّيْرَ بَعْضُ عِيَــالِهِ

إنّ العلّة التي أتى بها الشّاعر تخالف ما كان ينتظره المتلقّي، فالذي يقتل الأعداء إنّما يردّ كيدهم أو يريد أرضهم وديارهم وأموالهم، وهذه الحجّة التي تؤكّد شجاعة الممدوح يحتجّ بها المتنبّي كذلك لجود الممدوح الذي وصل إلى الطّيور الكاسرة التي تتغذّى على أجساد العباد، والممدوح في نظره لولا جوع الطّير ودخولها تحت رحمته ورجاءه لما سفك دماً وما قتل نفساً، فانظر إلى وضاعة الأعداء في هذا التّعبير؛ دماء الأعداء أرخص من أمل الطّيور وأهون من سدّ رمقها.وممّا يشبهه:(17)

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِــــنْ   يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تَرْجُو الذِّئَابُ

---

(14)- الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص 296.

(15)- محمّد الواسطي، **أساليب الحجاج في البلاغة العربيّة**، ضمن كتاب: **(الحجاج مفهومه ومجالاته)**، ج3، ص 147.

(16)- عبد الرّحمن البرقوقي، **شرح ديوان المتنبّي**، مكتبة نزار الباز، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط/، 2002، ج2، ص 909.

(17)- البرقوقي، ج1، ص 201.

فالإنسان -كما قلنا- يقتل لصدّ ظلم أو لنيل نصر وما إلى ذلك من الأسباب التي تدفع بالإنسان إلى قتل أخيه الإنسان، ولكن كسر المتنبّي هذا التوقّع وأعطى علّة أخرى يحتجّ بها لجود الممدوح وشجاعته، وهي إحسانه الذي شمل الحيوان، فهو يعلم أنّه إذا غدا إلى الحرب فإنّ كثيراً من الحيوانات تفرح لأنها تعلم أنّه مصدر قوتها بقتله الأعادي، لذلك فهو يحرص على عدم تخييب ظنّها، والطّريق إلى ذلك إنّما بقتل الأعادي وعدم رحمتهم، وهذا الأسلوب يحمل من الدّلالات ما يجعل البيت ينبض بالقوّة والتّساؤل عن مقدار هذا الممدوح، فهو بقدر ما يحمل من المدح يحمل أضعاف ذلك من الذّمّ للأعداء.

ويعود المتنبّي ممدوحاً أصابته الحمّى ويخفّف عنه بقوله:[18]

وَمَنَازِلُ الْحُمَّى الْجُسُومُ فَقُلْ لَنَا ... مَا عُذْرُهَا فِي تَرْكِهَا خَيْرَاتِهَا

أَعْجَبْتَهَا شَرَفاً فَطَـــالَ وُقُوفُهَا ... لِتَأَمُّلِ الأَعْضَــاءِ لَا لِأَذَاتِهَا

إنّ المتنبّي في هذين البيتين يحتجّ لعظمة الممدوح باستعمال حسن التّعليل،فالحمّى لم تسكن جسم الممدوح لأنّه كسائر الجسوم معرّض للأمراض، وإنّما لأنّها تعرف قدره ومنزلته فآثرت قربه لتتأمّل عجيب خلقته وكمال هيئته.

2- المذهب الكلامي:

هو انتحاء طريقة المتكلّمين في إثبات المواقف والاحتجاج للآراء، وقد اشترط ابن الأثير الثّقافة الموسوعيّة، فصناعة هذا الأسلوب موضوعة للخوض في كلّ معنى، وصاحب هذه الصّناعة يجب أن يتعلّق بكلّ علم وكلّ صناعة[19]، فهو أسلوب حجاجيّ يوظّفه المتكلّم لإقناع خصمه بالحجّة والبرهان، وهو من الأساليب الاستدلاليّة الحجاجيّة التي وظّفت في الدّرس البلاغيّ العربيّ القديم، والذي تمتزج فيه أساليب أخرى، بما يمنحه القوّة في الإبلاغ الحجاجي.[20]ويستمدّ المذهب الكلامي قوّته الحجاجيّة كذلك من أصله، وهو علم الكلام الذي وضع للدّفاع عن أصول الدّين بالبراهين والأدلّة العقليّة

---

[18]–المصدر نفسه، ص 278.

[19]– ينظر: ابن الأثير، **المثل السّائر**، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة النّهضة، مصر، ط/، 1959، ج1، ص 48.

[20]–ينظر: رضوان الرّقبي، **الاستدلال الحجاجي التّداولي وآليات اشتغاله**، مجلّة عالم الفكر، العدد2، المجلّد 40، أكتوبر-ديسمبر 2011، ص ص 76-77.

القاطعة[21]، لذا تأثّر به كثير من البلغاء والشّعراء خاصّة المتنبّي بثقافته الموسوعيّة التي تؤهّله لانتهاج هذا النّهج وإتقان هذه الصّنعة، لذا وجدنا في كلامه كثيراً من هذا الأسلوب، من ذلك قوله:[22]

وَلَقِيتُ كُـــــلَّ الْفَاضِلِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ الإِلَـهُ نُفُوسَهُمْ وَالأَعْصُرَا

نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحَسَابِ مُقَدَّماً وَأَتَـــى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتَ مُؤَخَّرَا

في هذا الأسلوب يتكلّف الشّاعر الإتيان بالبرهان والحجّة الدّامغة، فالذي لا يصدّق الفضائل التي كانت للعلماء قبل ابن العميد كلّها جمعت له، يحتجّ عليه المتنبّي باستغلال علم الحساب، فيجعل الممدوح أجمال الحساب الذي نسق كلّ العلماء، ودلالةً تحكّم المتنبّي في ألفاظ هذا العلم استعمل كلمة ذلك التي تدلّ على إنهاء عملية الحساب، فالشّاعر ذكر تفاصيلهم ثمّ جمعها في شخص الممدوح على طريقة أهل الحساب.[23]ومن صور محاكاة المتكلّمين نجد المتنبّي يسلك سبيلا آخر يتمثّل في التّلاعب بالألفاظ على طريقة أهل الكلام حتّى يكاد يوقع البيت في الإبهام والغموض، يقول هاجيا:[24]

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ويجهل علمي أنّه بي جاهل

من هنا تظهر قيمة المذهب الكلامي في الحجاج في الشّعر، وهذا لكون الشّاعر يجمع من الحجج أقواها ومن البراهين أشدّها حتّى لا يجد المحتج أو المنكر سبيلاً للإنكار، ويظهر فيه تعمّد اختيار الحجج واستغلال سائر المعارف.

3- التّشبيه:

---

[21]- علم الكلام:«**من العلوم الاعتقادية التي تشملها العلوم الملية، وهو يتعلّق بتقرير الاعتقادات المنقولة عن مبلّغ الرّسالة وتشييدها بالأدلّة المعقولة، وتأييدها وتوهين مخالفها بأساليب المناظرة المحمودة، بحيث يقع الانسياق والتّكليف القلبي ويثبت الإيمان والتّصديق ليحصل مع ذلك الانسياق أو التّكليف القالبيّ.**» حمو النّقاري: **منطق الكلام؛ من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي**، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص 47.

[22]-البرقوقي، ج1، ص 540.

[23]-ينظر البرقوقي، ص ص 540-541.

[24]- المصدر نفسه، ج2، ص 851.

يحتلّ التّشبيه مكانة عالية ودرجة رفيعة بين فنون البلاغة، لما يطويه من قوّة الجمع بين المتناقضات والتّقريب بين المتباعدات، ممّا يكسب القول القوّة والثّراء الدلالي، فالعلاقات غير الظّاهرة تتمثّل فيما يسمّيه السّكّاكي (الجامع) الذي لا سبيل إلى تحقّقه إلاّ بإشراك المتلقّي في الخطاب عن طريق إعمال عقله واستفزاز خياله، وأنواع الجامع ثلاثة، فالنّوعان الأوّلان يشترك جميع النّاس في كيفيّة فهمهما، وهما:[25]

1- **الجامع العقليّ**: ويكون عن طريق:الاتّحاد في التّصور أو التّماثل في التّصور أو التّضايف، كالسّبب والمسبّب.

2- **الجامع الوهميّ**: ويكون عن طريق:شبه التّماثل بين المخبر عنه أو التّضاد: كالسّواد والبياض أوشبه التّضاد: كالسّماء والأرض، والأوّل والثّاني.

في هذين النّوعين يبرز دور المتلقّي غاية البروز، فعليه أن يسعى إلى إدراك هذه العلاقات عن طريق إعمال عقله وتحريك فكره، فإذا ذكر السّبب سعى إلى إيجاد المسبّب، وإذا غابت العلّة وجدها عن طريق التفكّر في المعلول، وهكذا في التّماثل وشبهه وكذا في التّضاد، فعلى المتلقّي أن يملأ فراغ الخطاب عن طريق إيجاد وجه التّماثل أو شبهه بين الشّيئين أو الأشياء، أمّا في الجمع بين الأضداد فهو أيسر الأمور على المتلقّي لأنّ «**الضّد أقرب خطوراً بالبال مع الضّد**»[26]. أمّا عن النّوع الثّالث؛ وهو **الجامع الخياليّ**: فيرى السّكّاكي أنّ النّاس يختلفون في إدراكه وتصوّره على اختلاف ثقافاتهم وطريق تعلّمهم وأشكال مِهَنهم ونوع نشاطهم، فالقمر يراه السّلاحيّ ترساً والصّائغ يصوّره سبيكة من الإبريز والمعلّم يشكّله رغيفاً أحمر يناله من بيت ذي مروءة[27]،ليتّضح في هذا النّوع من الجامع أنّ المعتبر فيه هو نوعيّة المتلقّي، لنصل في الأخير إلى أنّ الجامع بصفة عامّة –ومن منظور السّكّاكي- يقوم على المتلقّي بدرجة كبيرة حتّى تتحقّق سلامة العلاقات بين وحدات الخطاب، وكذا الدّلالة العامّة التي تنطوي تحت هذه العلاقات التي ينشئها المرسل ويحقّقها المتلقّي عن طريق إقامة العلاقة بين المتناقضين

---

[25]-ينظر: محمّد خطّابي، **لسانيات النّصّ – مدخل إلى انسجام الخطاب** -، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء-المغرب، ط2، 2006، ص ص 120.

[26]-محمّد بن عليالسّكّاكي، **مفتاح العلوم**، دار الكتب العلميّة، بيروت، دت، ص 110.

[27]-ينظر: المصدر نفسه، ص 111.

وإيجاد الجامع بين المتباعدين، ولا يدرك هذا إلاّ بتحريك آلة الفهم التي تتدخّل فيها الثّقافة المشتركة بين المرسل والمتلقّي لينفكّ لغز الخروج عن العالم الواقعي إلى عالم الخيال.وقد سجّل الشّعر العربيّ كثيراً من العلاقات الفريدة التي أقامها الشّعراء بصفة خاصّة في جمعهم بين المادّي والمعنويّ والحيّ والجماد والعاقل وغير العاقل، فيترك الشّاعر للمتلقّي كيفيّة الرّبط بين كلّ تلك المتباعدات، فيصبح غريباً في عالم هذا الخطاب، ولا يزيل هذه الغربة إلاّ عن طريق فكّ رموز هذه العلاقات الغريبة، ليكوّن نصّاً جديداً له فيه نصيب من الجهد الفكريّ والعناء العقليّ ليعتبر في النّهاية شريكاً في إنتاج الخطاب.

هذا بالنّسبة للجامع الوهميّ أمّا الجامع الخياليّ فهو الأنموذج الفريد الذي يتجلّى فيه التّشبيه على اختلاف في البيئات وتنوّع في الثّقافات، والذي دعانا إلى التماس الصّفة الحجاجيّة للتّشبيه هو قضيّة الجامع، فالسّكّاكي مثلا يشدّد على ضرورة تحديد الجامع بين الأشياء الواردة في الخطاب، وهذا هو الذي يجعلنا نحقّق أصلاً هامّاً من أصول النّظريّة الحجاجيّة المعاصرة، هو الدّعوة التي يوجّهها المرسل للمتلقّي داعيًا إيّاه لتعاقد ضمنيّ يكمّل الخطاب ويحقّق الفهم المقصود من طرفه، ولا يتأتّى كلّ هذا إلاّ بسعي المتلقّي لتحديد الجامع الذي به يستقيم الكلام وينسجم الخطاب ويتحقّق التّواصل، وأكثر أنواع التّشبيه حجاجيّة التّشبيه الضّمني، لما يحمله الصّفة الحجاجيّة ليس فيما ذكره السّكّاكيّ فقط، وإنّما في كونه يحمل في طيّاته طاقة استدلالية لا يمكن لعقل أن يرفضها ولا يتسنّى لقلب أن يدفعها.

التّشبيه الضّمني (القيـــــاس التّـــداولي):

هو تشبيه يبنى في صورة غير معهودة، فطرفا التّشبيه لا يفهمان إلاّ من ضمن القول وسياق الكلام، وتعتبر صفة المشبّه به كالدّليل على الدّعوى التي يحتجّ بها وهي إثبات صفة ما للمشبّه[28].وإذا سألنا عن دوره الحجاجي فهو يملك من القوّة ما جعل علماء الحجاج يعتبرونه استدلالاً، يتشارك فيه المرسل والمتلقّي، وممّا جعله يختلف عن تشبيه التّمثيل والتّشبيه المركّب هو أنّه تمثيلٌ حسّيٌّ مركّب يذكر للاحتجاج والاستدلال على

---

[28]-ينظر: محمّد الواسطي، **أساليب الحجاج في البلاغة العربية**، ضمن كتاب **(الحجاج مفهومه ومجالاته) ج3**، ص148-149.

صحّة مقولة المشبّه من أجل نفي إنكار المنكر لها وإقناعه[29]. ويسمّيه أبو هلال العسكري **الاستشهاد والاحتجاج**، ويعرّفه بقوله: «**هو أن تأتي بمعنى ثمّ تؤكّده بمعنى آخر، يجري مجر الاستشهاد على الأوّل والحجّة على صحّته.**»[30]فهو إذن ممارسة استدلالية يسعى فيها المتكلّم إلى الانتقال من حكم إلى آخر، معتمداً على الحريّة في اختيار ما يحتاجه من الألفاظ والتّراكيب والصّور، متجاوزاً في ذلك كلّ الحدود والعلاقات التي تراعي متغيّرات الوضع اللّساني، ومتغيّرات المحيط المعرفي الذي يكتنف المتخاطبين، ومن أبرز ذلك الصّور والاستعارات، التي يبنى فيها القياس من المعروف إلى اللّامعروف[31]. إذن فالقياس التّداولي يربط بين موضوعين (مقيس ومقيس عليه) أو ظاهرتين أو فكرتين هما في الحقيقة ينتميان إلى مجالين في التّداول متباعدين، ليتم الرّبطعن طريق علاقة القياس التي تتّصف بالمغايرة لا المجانسة، ممّا يجعلها تحافظ على وجوه الاختلاف بين الطّرفين في العمليّة ذاتها، وفي الوقت نفسه تسعى إلى إذابة الفروق وتثبيت وجوه التّشابه والتّقارب بينهما[32]. ولا تكمن قيمة القياس التّداولي في حمل الخبر لمن لا يعلمه، وإنّما في محاولة التّأثير في سلوك المخاطب عن طريق القيمة الفكرية التي يحملها والتي تؤدّي به إلى الاقتناع بمضمون القول عملاً به أو كفّاً عنه[33]. ويقوم هذا الاستدلال في الشّعر العربي على علاقة التشابه والتّماثل بمختلف أشكاله، ولنا في ذلك أمثلة ديوان المتنبّي، مها قوله:[34]

---

[29]–ينظر: محمّد الواسطي، **أساليب الحجاج في البلاغة العربية**، ضمن كتاب **(الحجاج مفهومه ومجالاته) ج3**، ص 150.

[30]–أبو هلال العسكري، **الصّناعتين**، تحقيق: علي البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، 1986. ص 416.

[31]– ينظر: طه عبد الرّحمن، **تجديد المنهج في تقويم الـتّراث**، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء–المغرب، ط1، 1994، ص 185.

[32]–ينظر: طه عبد الرّحمن، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء–المغرب، ط2، 2000ص ص 107–108.

[33]– ينظر:المرجع نفسه، ص111.

[34]– البرقوقي، ج2، ص 737.

فَإِنْ تَفُقِ الْأَنَامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَـزَالِ

لقد استدل المتنبي على احتمال وجود شخص شريف بقامة سيف الدولة وسط الأنام السفلة والمنحطين واعتبر ذلك أمرا طبيعيا، ليس بالاقتصار على إثبات هذه الواقعة في حد ذاتها. بل بالربط بينها وبين حدث آخر غير متعايش معه داخل المكان وغير متعاقب معه داخل الزمن، بل بالربط بين حدثين متباينين ولكنهما متشابهان. إن كون سيف الدولة، رفيع الطبيعة، لا ينبغي أن يدهشنا، إذ إن هناك ما يناظر هذا في الطبيعة. إن المسك الرفيع الطبيعة هو أيضا يوجد في مادة خسيسة وكريهة وهي دم الغزال.ويشترط في تحقيق هذه الاستدلال غايتَه أن يكون المخاطب ذا معرفة بطرفي العلاقة التّمثيليّة.وفي مثال آخر يفخر فيه بنفسه:[35]

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْـدِنُ الذَّهَبِ الرُّغَـامُ

يستدل على إمكانيّة عيشه في قوم لئام وهو كريم الطّبع عزيز النّفس، بأنّ له مثالاً من جنس آخر يماثله في الصّفة والحال هو الذّهب الذي على غلاء قيمته وتفرّده بين المعادن إلى أنّه من التّراب، ورغم ذلك لا يشبه التّراب الوضيع في شيء من صفاته، فالمتنبّي يحتجّ لدعواه بأنّ قيمة الشّيء في نفسه وليس ببيئته التي يعيش فيها فرفعة الذّهب لكونه ذهباً وعلوّ المتنبّي ونفسه العزيزة محفوظة أينما حلّ وحيثما ارتحل، حتّى وإن عاش في السّجن فإنّ ذلك لا ينقص من قيمته التي يعرفها الصّديق والعدوّ.فنفس المتنبّي الأبيّة المتعالية، وإن رضيت بالسّجن فإنّ هذا لا ينقص من قيمتها، لأنّ الدّر الذي يعدّ من أغلى الحليّ مقرّه في الأصداف، لذلك فهو في السّجن كالدّرّ في الصّدف:[36]

كُنْ أَيُّهَا السِّجْنُ كَيْفَ شِئْتَ فَقَدْ وَطَّنْـتُ لِلْمَـوْتِ نَفْسَ مُعْتَـــرِفِ
لَوْ كَـانَ سُكْنَـــايَ فِيـكَ مَنْقَصَـةٌ لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَــاكِنَ الصَّـدَفِ

4- تحصيل الحاصل:

لم يسلم هذا الأسلوب من التّنقيص، ورمي مستعمله بعدم الفائدة، والحقيقة أن أيّ تركيب في خطاب ما لا يخلو من فائدة، فإذا كان تحصيل الحاصل «**مجرّد إعادة قول، وآفة**

(35)– المصدر نفسه، ص 1095.

(36)– البرقوقي، ج2، ص 635.

منطقيّة يتمّ عرض مقولة ما كحجّة ثمّ تكرّر بمفردات مختلفة لنصل في الأخير إلى ما قلناه سابقاً»[37]، فإنّنا يمكن أن نعترض على هذا القول بأنّ القدرة على صوغ حجّة واحدة بصيغ مختلفة وتراكيب متنوّعة هي في حدّ ذاتها حجّة، حيث يجعل المتلقّي في سيل من الحجج ووابل من الأدلّة، وهي في الحقيقة حجّة واحدة في أثواب مختلفة، وأبرز مثال على هذا بيت المتنبّي الذي قاله معاتباً سيف الدّولة:[38]

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إلاَّ فِي مُعَامَلَتِي   فِيكَ الْخِصِامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ

إنّ المتنبّي في هذا البيت يكثّر الذّات بأوصاف مختلفة رغم وحدتها في الأصل، فهو يجعل سيف الدّولة ثلاث ذوات في لحظة التّلفّظ نفسها، فهو محلّ الخصام، والخصم والحكم، وفي هذا حجاج بأنّه أضعف من أن يأخذ حقّه منه، إذ ليس هناك –في نظره– قاض محايد أو قضيّة خارجة[39]. وقد تقدّم الحديث عن هذا البيت وما يحويه من سمات فلسفيّة تحوي طاقات حجاجيّة مختلفة.

5– التّغاير:

التّغاير من الأساليب البلاغيّة العجيبة؛ لما يحويه من لمسة فلسفيّة وما يطويه من مسحة منطقيّة، وهذا يمكن استخلاصه من تعريف ابن رشيق: «**هو أن يتضاد المذهبان في المعنى حتّى يتقاوما، ثمّ يصحّا جميعاً»**[40]وقد شهد للمتنبّي بالتّفوّق فيه نظراً لقدرته واتّساعه في المعاني، وقد أورد كثيرا من الشّواهد التي خالف فيها المتنبّي مذاهب الشّعراء وغايرهم بما هو أقرب للعقل وأوضح للعيان[41]، فيخالف أبا تمّام في تقديمه التّكرّم على الكرم المطبوع:

---

(37)–عمارة ناصر، **الفلسفة والبلاغة– مقاربة حجاجيّة للخطاب الفلسفي–**، الدّار العربيّة للعلوم، بيروت–لبنان، ط1، 2009، ص 147. (الإحالة).

(38)– المصدر السّابق، ج 2، ص 1009.

(39)– ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشّهري، **استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغويّة تداوليّة–**دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت – لبنان، ط/، 2004، ص 490.

(40)–أبو عليّ الحسن بن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده**، دار الجيل، بيروت، ط/، دت، ج2، ص 100.

(41)–ينظر: المصدر نفسه، ص 101–102–103.

فعلمنا أن ليس إلّا بشقّ النّـــ فس يدعى الكريم كريما

بقوله:

لو كفر العـــالمـون نعمته لما عدت نفسه يوما سجاياها

كالشّمس لا تبتغي بما صنعت تكرمة عندهم ولا جاها

ثمّ يقدّم رواية يشهد فيها على غلبة المتنبّي بالحجّة والبرهان، فيروي قول ابن عبّاس النّوبختي مفضّلاً القلم على السّيف:

إن يخدم القلمُ السّيفَ الذي خضعت له الرّقاب ودانت خوفه الأمم

كذا قضى اللّه للأقلام مذ بريت أنّ السّيوف لها مذ أرهفت خدم

فالموت والموت لا شيء يعادله ما زال يتبع ما يجري به القلم

والذي يعدّه سالما من الطّعن صحيح المعنى متقن المبنى، إلّا أنّ المتنبّي خالفة بما يشهد بصحّته العيان ويصحّحه البرهان، فيقول مفضّلا السّيف على القلم:

حتّى رجعت وأقلامي قوائل لي المجد للسّيف ليس المجد للقلـم

اكتب بنا أبدا قبل الكتاب بـه فإنّما نحن للأسياف كالخدم[42]

ويغاير أبا الشّيص في الغزل قوله:

أجد الملامة في هواك لذيذة حبّا لذكرك فليلمني اللّوّم

حيث جعل يطرب لسماع من يلومه في محبوبته لأنّه يذكّره بها، بل طلب الاستزادة من اللّوم حتّى يسمع المزيد عن محبوبته، أمّا المتنبّي فإنّه لا يقبل اللّوم في حبّه، لأنّ المحبّ الصّادق لا يتحمّل أن يسمع في حبيبه ما يضرّ به، فكيف لقلب كبّله الحبّ وملكه الهوى أن يسمع عن المحبوب ما يشين الحبّ ويخدش الهوى ثمّ يعجب ويطرب، هذا ضدّان لا يلتقيان:

أأحبّه وأحبّ فيه ملامة إنّ الملامة فيه من أعدائه

6- المشتقّ:

---

[42]–هذه رواية الدّيوان **بشرح البرقوقي**، ج2، ص 1173–1174. أمّا رواية ابن رشيق فهي كما يلي:

اكتب بذا قبل الكتاب بها فإنّما نحن للأسياف كالخدم

يقصد بالمشتّق استخراج علّة من جنس اللّفظ تكون وسيلة للاحتجاج، ويرجع أصل هذا الفنّ إلى أبي هلال العسكريّ، إلاّ أنّ أنّه خصّه بالذّم فقط؛ أيّ أنّ الشّاعر يستخدم قدرته على الاشتقاق من اللّفظ في التّشاؤم والذّمّ[43]، غير أنّ الشّعر العربيّ يزخر بكثير من الأمثلة المتميّزة تظهر إبداع الشّعراء في التلاعب بالمشتقّات في سائر أغراض الشّعر، ولنا في ديوان المتنبّي من ذلك أمثلة كثيرة خاصّة في المدح، حيث نجده يستعمل أسماء العلم مثلاً استعمالات مميّزة واشتقاقات فريدة. ومن أبرز الممدوحين الذين استغلّ أسماءهم في مدحهم بدر بن عمّار.[45]الذي يوظّف المتنبّي اسمه إمّا تصريحاً وإمّا تلميحاً، فمثلاً في قوله:[46]

خَلَتِ البِلَادُ مِنَ الغَزَالَةِ لَيْلَهَا فَأَعَاضَهَاكَ اللَّهُ كَيْ لاَ تَحْزَنَا

استعمل الشّاعر لفظ الغزالة وهو من أسماء الشّمس، وجعل الممدوح عوضاً عن الشّمس التي تغيب في اللّيل فيأتي البدر لينير الدّنيا، ويضيء العالم، خاصّة وأنّ هذا البدر لم يكن يوماً هلالاً، بل خلق كاملاً، ومعناه أنّ الممدوح لم يصل هذه المنزلة بعد نقص كان فيه، بخلاف ما يعتري البدر، وفي هذا يقول المتنبّي:[47]

إِلَى البَدْرِ بْنِ عَمَّارَ الذِي لَمْ يَكُنْ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ هِلَالاً
وَ لَمْ يَعْظُمْ لِنَقْصٍ كَانَ فيهِ لِكُلِّ مُغَيَّبٍ حَسَنٍ مِثَالاً
.. أُقَلِّبُ مِنكَ طَرْفِي فِي سَمَاءٍ وَإِنْ طَلَعَتْ كَوَاكِبُهَا خِصَالاً

وفي أغلب قصائد مدح بدر بن عمّار تكرار عجيب لاسمه بأوصافه ومشتقّات اسمه كما قدّمنا، وفي هذا التّكرار فوائد عديدة أهمّها: أنّ المتنبي قد سنّ سنّة في المدح وهي **التّخصيص** أي إفراد الممدوح بهذا المدح فلا يمكن أن يمدح به أحد سواه، وهذا بخلاف المدح الذي قبله، فـ« **المتنبّي من الشّعراء القلائل الذين استطاعوا أن يهربوا من فخّ التّعميم في جزء من قصائدهم، فهو يحاول تخصيص مدائحه بتناوله الصفات الخاصّة**

[43]–ينظر: أبو هلال العسكري، **الصّناعتين**، ص 340.

[45]–محمّد الخبّاز، **صورة الآخر في شعر المتنبّي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2009،ص106.

[46]– البرقوقي، ج2، ص 1211.

[47]– المصدر نفسه، ص890 و 896.

في الممدوح والتي يختصّ بها دون غيره من الممدوحين»[48]، ومن أهم هذه الخصائص اسم الممدوح الذي لا يملكه سواه. فالاشتقاق من اسم الممدوح سيكون بمثابة الختم على القصيدة التي يقتنع الممدوح أنّها له وحده، وأنّه الجدير بها دون سواه، ممّا يجعله يغوص في القصيدة، ويتقبّل أفكارها ويستجيب لدعواها.

أمّا عنلقب (سيف الدّولة)؛ فقد استغلّه أحسن استغلال في أغلب مدحه، وطوّعه كيف شاء؛ فمن ذكره صراحة إلى استغلال مشتقّاته، حيث ولّد منه الدّلالات المدحيّة التي تخدم القصيدة وتعمّق في تأثيرها وتزيد من خصوصيتها. وسنورد بعض الأمثلة على سبيل الذّكر لا الحصر، منها قوله:[50]

لَقَدْ سَلَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ المَجْدُ مُعْلِماً فَلاَ المَجْدُ مُخْفِيهِ وَ لاَ الضَّرْبُ ثالِمُهعَلَى عَاتِقِ المَلْكِ الأَغَرِّ نَجَادُهُ وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَاوَاتِ قَائِمُه

وَ مَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الهَامَ حَدُّهُ وَتَقْطَعُ لَزْبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُه

لقد جعل المجد فاعلا سلّ سيفَ الدّولة، فلا هو يغمده ولا الضّرب يثلمه، هذا السّيف الذي حمالته على عاتق الخليفة، ومقبضه في يد جبّار السماوات، تلقيبه بالسّيف ظلم له لما يعتري المعدن من نوائب الصّدمات وعوارض الطّبيعة، وإذا كان السّيف يقطع المادّة فإنّ الممدوح يقطع الزّمان بمكارمه التي ينثني أمامها الزّمان منكسراً رغم أحداثه ونكباته. ولابدّ لهذا المدح الخاصّ بسيف الدّولة أن يصل إلى قلبه، فهو يبرهن على اللّقب الذي سمّاه به الخليفة بعدما ابتلاه في الحروب، فكان سيفاً حقيقيًّا، يقول المتنبّي في هذا:[51]

إِنَّ الخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا حَتَّى بَلاَكَ فَكُنْتَ عَينَ الصَّارم

... وَإِذَا انتَضَاكَ عَلَى العِداَ فِي مَعْرَكٍ هَلَكُوا وَ ضَاقَت كَفُّهُ بِالقَائِمِ

غير أنّ السّيوف كثيرة ولكن سيف الدّولة واحد لا مثيل له يقول في هذا:[52]

فَلَا تَعجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ ولَكنَّ سَيْفَ الدَّولَةِ اليَومَ واحِد

بل والسّيوف كذلك لم تنجُ من الإعجاب بهذا الصّارم البتّار والسّيف المسلول:[53]

---

[48]–محمّد الخبّاز، **صورة الآخر في شعر المتنبّي**، ص103.

[50]– البرقوقي، ج 2، ص 990–991.

[51]– المصدر نفسه، ص 997.

[52]– المصدر نفسه، ج1، ص 307.

إِذَا نَحْنُ سَمَّيْنَاكَ خِلْنَا سُيُوفَنَا مِنَ التَّيْهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ

ومن أبرز التّلاعب بهذا اللّقب ما مدح به سيفَ الدّولة عندما وفد إليه رسول ملك الرّوم، الذي تعجّب من هذا السّيف الذي لم ير مثله في السّيوف، يقول المتنبّي مصوّراً حال رسول الرّوم، مادحاً سيف الدّولة:(54)

فَأَقْبَلَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَهْوَ مُرْسَلٌ وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهْوَ عَاذِلُ

تَحَيَّرَ فِي سَيْفٍ رَبِيعَةُ أَصْلُهُ وَطَابِعُهُ الرَّحْمَنُ والمَجْدُ صَاقِلُ

وَمَا لَوْنُهُ مِـمَّا تُحَصِّلُ مُقْلَةٌ وَلاَ حَدُّهُ مِمّاَ تَجُسُّ الأَنَامِلُ

لا يمكن لسيف الدّولة النّجاة من الطّرب لهذه الأبيات، التي تملك عليه نفسه وتأسر روحه، إذ لمّا دخل عليه رسول الرّوم لم ير أميرا كسائر الأمراء، بل رأى سيفاً مسلولاً يمكن له الطّعن في أيّة لحظة، بخلاف الأمراء المنكسرين الذين يترقّبون رسل الرّوم عند الأبواب في ذلّة وانكسار، ليبرز الممدوح أمير زمانه، و صادّ الرّوم الوحيد، وكان سيف الدّولة يعلم تمام العلم أن ليس فيمن حوله من يؤازره ويناصره ويعرف قيمته ويدرك أهدافه إلاّ المتنبّي الذي استطاع أن يجعل هزائم سيف الدّولة انتصارات، ومن شدّة الخصوصيّة التي فرضها الاشتقاق المتنوّع لكلمة السّيف ودلالاته، ختم اسم سيف الدّولة على هاته القصائد وصارت تسمّى (**السّيفيّات**)(55).

7- الاحتجاج العقلي:

وهو ان يأتي الشّاعر بحجّة يشهد العقل على صحّتها، إذ لا يمكن دفعها لأنّها مما يدخل في باب الحجج القطعيّة التي مجال لإنكارها(56)، وقد استلهم هذا النّوع البلاغيّ من تعليقه على بيت المتنبّي الشهور:(57)

وما التّأنيث لاسم الشّمس عيب ولا التّذكير فخر للهلال

---

(53)–البرقوقي، ج2، ص 1006.

(54)–المصدر نفسه، ص 805-806.

(55)–**محمّد الخبّاز، صورة الآخر في شعر المتنبّي، ص 111.**

(56)– **ينظر: الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ص 347.**

(57)– **البرقوقي: ج2، ص 735.**

هذه الحجّة التي أتى بها في سياق رثاء والدة سيف الدّولة التي يرى أنّها فاقت في أخلاقها كثيرا من الرّجال، «**لأنّ الشّرف وغير الشّرف يثبت للأشياء من حيث أنفسها وأوصافها، لا من حيث مسمّياتها**»[58]ولو كثرت النّماذج من هذا القبيل لكان فضل النّساء على الرّجال لا ينكر، ولكنها واحدة في النّساء تفرّدت، وعن الرّجال فضّلت:[59]

فلو كان النّساء كمن ذكرنا   لفضّلت   النّساء   على الرّجال

الخلاصة:

كان هذا عرضا موجزاً لبعض الأساليب البلاغيّة التي انعقد الإجماع على ما تحويه من طاقات حجاجيّة، والتي لا توفّى حقّها إلّا بإفراد كلّ مفهوم ببحث خاصّ، لا سيما إذا طبّق على شعر المتنبّي وأقرانه الذين نقلوا الشّعر العربيّ إلى موضع أصبح يجاري فيه علماء الكلام والمنطق في إبداع فنيّ عجزت عقول الشّعراء والنّثار على أن تأتي بمثله. والحقّ أنّ في البلاغة العربيّة كثيراً من الأساليب التي لها الأثر البالغ على النّفوس مهما اختلفت مداركها ومراتبها، وهذا ممّا ينبغي أن يفرد بالبحث، ومن أمثلة ذلك المجاز والاستعارة وبعض أنواع التّشبيه والاستدراجُ والتلطّف والتّضمين وغيرها، ممّا يضيق المقال لذكرها، والنّاظر في هذه الفنون يدرك أنّ أكثر فنون البلاغة يقف على أرضيّة عقليّة صلبة.

وممّا يمكن الخلوص إليه أنّ الشّعر العربيّ إذا حاكى علماء الكلام والمناطقة والفلاسفة، وحمل في طيّاته الحجج والبراهين، فإنّه لا يخرج عن مسّمى الشّعر، بل هو إثبات لنبوغ كثير من الشّعراء وسعة معارفهم، وهذا ما وجدناه في شعر المتنبّي. كما يمكن للمتأمّل في أبحاث البلاغيّين القدماء أن يدرك تمام الإدراك تلك النظرة السّابقة لعصرها، والتي لم تفهم حقّ فهمها إلّا في الأعوام الأخيرة. من هنا استطاعت البلاغة العربيّة أن تتجاوز النّظرة التي هيمنت عليها زمنا طويلاً؛ وهي أنّ أساليبها أدوات للزّينة وتحشين الخطاب فقط، واستطاعت أن تفرض نفسها على كلّ خطاب، ووصلت إلى أن تثبت فضلها على كلّ فنّ.

المصادر والمراجع:

---

(58)– **المصدر السّابق، ص 348.**

(59)– **البرقوقي، ج2، ص 735.**

- ابن الأثير،**المثل السّائر**، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة النّهضة، مصر، ط/، 1959.
- أدونيس،**اثّابت والمتحوّل 3، صدمة الحداثة**، دار العودة، بيروت، ط2، 1979.
- حافظ إسماعيل علوي، **الحجاج مفهومهومجالاته**،عالم الكتب الحديث، الأردن، ط/، 2010، ج3.
- حمو النّقاري، **منطق الكلام؛ من المنطق الجدلي الفلسفي إلى المنطق الحجاجي الأصولي**، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.
- طه عبد الرّحمن،**تجديد المنهج في تقويم الـتّراث**، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء–المغرب، ط1، 1994.
- طه عبد الرّحمن،**في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء–المغرب، ط2، 2000.
- عبد الرّحمن البرقوقي، **شرح ديوان المتنبّي**، مكتبة نزار الباز، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط/، 2002.
- عبد القاهر الجرجاني،**أسرار البلاغة**، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني جدّة، ط1، 1991.
- عبد اللّطيف عادل، **بلاغة الإقناع في المناظرة**، منشورات ضفاف، بيروت – لبنان، ط1، 2013.
- عبد الهادي بن ظافر الشّهري، **استراتيجيات الخطاب –مقاربة لغويّة تداوليّة**–دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت – لبنان، ط/، 2004.
- أبو عليّ الحسن بن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده**، دار الجيل، بيروت، ط/، دت، ج2.
- عمارة ناصر، **الفلسفة والبلاغة– مقاربة حجاجيّة للخطاب الفلسفي**–، الدّار العربيّة للعلوم، بيروت–لبنان، ط1، 2009.
- محمّد بن عليالسّكّاكي، **مفتاح العلوم**، دار الكتب العلميّة، بيروت، دت.
- محمّد الخبّاز، **صورة الآخر في شعر المتنبّي**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان،ط1، 2009.
- محمّد خطّابي، **لسانيات النّصّ – مدخل إلى انسجام الخطاب** –، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء–المغرب، ط2، 2006.

- أبو هلال العسكري، **الصّناعتين**، تحقيق: علي البجاوي ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، 1986.
- **الرّسائل الجامعيّة:**
- ناصر السّعيدي، **الاحتجاج العقلي والمعنى البلاغي (دراسة وصفيّة)**، متطلّب تكميلي لنيل الدّكتوراهفي تخصّص البلاغة والنّقد، إشراف: محمّد إبراهيم شادي، جامعة أمّ القرى، المملكة العربيّة السّعودية، 1426.
- **المجلاّت:**
- مجلّة عالم الفكر، العدد2، المجلّد 40، أكتوبر–ديسمبر 2011.